التعليم و مناهجه في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني
Education and its curricula in the Ayala of Algeria during the Ottoman era.

مجلة البحوث والدراسات الإنسانية المجلد 15/ العدد 02 –السنة 2021 ص ص 97–128
EISSN : 2588-2317 ISSN : 1112-8152
جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة الجزائر

تاريخ الاستلام: 2021/09/11 تاريخ القبول: 2021/12/02 تاريخ النشر: 2022/01/02

أ. عبد الصمد حصاد 1 *
جامعة دكتور يحي فارس – المدية (الجزائر)
Email : Hassad.abdessamed@univ-medea.dz

أ. محمد دلباز 2
جامعة دكتور مولاي الطاهر – سعيدة (الجزائر)
Email : Mohammed.delbaz@univ-saida.dz

أ. ذهيبة بوشيبة 3
جامعة دكتور مولاي الطاهر – سعيدة (الجزائر)
Email : Bouchiba.dehiba@univ-saida.dz

الملخص:

أثبتت السياسة التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني ، كفاءتها كجهاز إداري تعليمي أهلي مستقل عن السلطة العثمانية بالأيالة ، تميز ببساطة أجهزته ، ومرونة تسييره، تشارك العلماء والمعلمين ومختلف الفئات الإجتماعية في إنشاء هيئة تعليمية خاصة ، فظهر لأول مرة بالأيالة تعليم خاص وحر يختلف عن التعليم النظامي الذي تشرف عليه الدولة . ولعل هذا الأمر من بين أهم الأسباب التي دفعت المشرفين على التعليم عدم الإهتمام بإعانة الدولة في تسيير المرافق التعليمية او وضع البرنامج أو تحديدالدروس ، وحتى إقامة الجلسات العلمية ، وعلاقة المؤدب بالتلاميذ والفئات الإجتماعية دليل واضح على إستقلالية التعليم بالجزائر العثمانية.

الكلمات المفتاحية: جزائر، تعليم، مسجد، كتاب–معلم

Abstract:

The educational policy, in Algeria, during the Ottoman era proved its efficiency as a private educational administrative apparatus independent of the Ottoman authority in the Ayala, distinguished by the simplicity of its apparatus, and the flexibility of its management, which is supervised by the state. Perhaps this matter is among the most important reasons that prompted education supervisors to not pay attention to the state's subsidy in running educational facilities, setting the program or setting lessons, and even holding scientific sessions, and the relationship of the educator with students and social groups is a clear evidence of the independence of education in Ottoman Algeria.

Keywords: *Algeria, education, mosque, book, teacher.*

* المؤلف المرسل:

المقدمة:

يعد التعليم عاملا أساسيا لإزدهار الحركة الفكرية و الثقافية لأي دولة، وعصبا حساسا لإرتقاء الأمة لذلك أولى الجزائريون خلال العهد العثماني إهتماما بالغا بالتعليم وموارده وسبل تحصيله، فانتشرت بكثرة مختلف المرافق التعليمية في المدن والأرياف و تنوعت أشكالها و هي كالتالي: الكتاتيب، المساجد، الزوايا، الرباطات، المعمرات، المدارس، و تم تسخير المعلمين والمدرسين وكبار العلماء والشيوخ للإشراف عليها، وذلك لتلقين التلاميذ والطلاب شتى العلوم والمعارف على إختلاف أشكالها النقلية و العقلية، وكذلك إهتم طلاب العلم بمرحلة التعليم العالي التي كانت تحتاج لمرور الطالب بمراحل تمكنه من اللحاق بها، إضافة إلى شيوع الرحلة في طلب العلم.

رغم عدم وجود هيئة سياسية تشرف على التعليم و المعلمين نظرا للطبيعة العسكرية للوجود العثماني بالأيالة، كانت ظاهرة الحياد الإجابي الذي إنتهجته السلطة العثمانية بالجزائر تجاه التعليم عامة والعلماء خاصة موجودة، إلا بعض الإستثناءات و المبادرات من قبل بعض الدايات و البايات التي ساهمت في أنعاش التعليم في مختلف أقطار الإيالة.

إن الحركة التعليمية و الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني تعد من المواضيع التي تكتسي أهمية كبيرة، ذلك أنها تبين لنا أحد أهم المظاهر الحضارية المشرقة في تاريخ الجزائر الحديث، و تؤكد لنا إزدهار العلم و كثرة العلماء الذين أفاضوا في كتاباتهم، و السبب الرئيسي في نبوغهم كان المرور بمختلف مراحل التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني بداية بالكتاب إلى غاية مرحلة التعليم العالي، و لكن بالرغم من هذه الأهمية إلا أن أقلام الكتاب لم تعطيها حقها الكافي و لم تعالجها كما ينبغي، وهو الأمر الذي دفعنا للكتابة في هذا الموضوع و مناقشة بعض فروع الموضوع، و سنعمل

من خلال هذه الدراسة إلى معالجة إشكاليتين رئيسيتين تبحثان أساسا في طبيعة التعليم في أيالة الجزائر و خصائص الحركة التعليمية بالجزائر العثمانية.

أولا: التعليم في الأيالة:

كان المشرق والمغرب العربيين بإستثناء المغرب الأقصى في القرنين السابع عشر و الثامن عشر الميلاديين لا يزالان خاضعين لحكم العثمانيين الذين وقفوا من التقدم الحضاري الذي كان يجري في أوربا موقفا سلبيا، وعندما فكر سلاطينهم في مسايرة أوربا كانت أجهزة الدولة قد أصابها الجمود وإستشرى بين صفوف الفرق الإنكشارية العصيان والتمرد، وكثرت الأزمات الداخلية والخارجية، و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل أن تزمت رجال الدين كان يدخل أيضا ضمن عوامل فشل تطور الدولة العثمانية، ولم يكن الباعث على إصلاح أجهزة الدولة والجيش أيام السلطان محمود الثاني هو إقتناع العثمانيين وتقبلهم للحضارة الأوربية، بل كان الباعث الحقيقي هو كثرة الهزائم المتتالية للجيش العثماني أمام الأعداء والطامعين، فقد كان السلاطين العثمانيين منذ القرن السادس عشر الميلادي يرفضون فكرة احتكاك شعوبهم المحكومة بالشعوب الأوربية، وكان هذا مرجعه خوفهم من أن تجلب شعوبهم المحكومة الأفكار التحررية التي كانت على النقيض مع المبادئ الاستبدادية التي كان يمارسها الحكام العثمانيين مع رعاياهم لإحكام السيطرة عليها **(فرج، 1984، ص74)**.

فإنعكس كل هذا على الحالة الثقافية في الولايات العربية ومنها الجزائر، فقد توقفت العقول وأخذت تجتر ما تركه الأوائل، وحتى هذا الإجترار إقتصر على العلوم الدينية في أغلب الأحيان، وخرجت اللغة العربية من هذه المحنة تعاني الجمود وقد صور أبو راس الناصري ذلك قائلا: " في زمن عطلت فيه مشاهر العلم ومعاهده وسدت مصادره وموارده وخلت دياره ومواسمه... لاسيما في التاريخ والأدب وأخبار الدول

والنسب قد طرحت في زوايا الهجران، ونسجت عليه عناكب النسيان، وأشرفت شمسها على الأفول... "(**الناصري، مخطوط، الورقة 2**).

ففي الوقت الذي لم تحظ العلوم بالعناية الكافية (Marchand, 1957,page26)، عكف الكثير من المشايخ المشهود لهم بالكفاءة على الإشتغال بالتدريس في المساجد والزوايا وغيرها من مؤسسات التعليم التي كانت منتشرة بإيالة الجزائر إنتشار جيدا غطى المدينة والقرية والجبل والصحراء، غير أن السؤال الذي لطالما راود العام والخاص هل كانت للدولة العثمانية سياسة تعليمية معينة بالجزائر؟.

تطرقت المصادر الغربية إلى إنتشار التعليم بالجزائر وسياسة الدولة إتجاهه، حيث ذكرت بأن العثمانيين لم يعيروا أي اهتمام بميدان التعليم ولم يكن في الأيالة الجزائرية وزير خاص بالتعليم أو وكيل يشرف على قطاعه، كون أن الدولة كانت لها إهتمامات أخرى إنحصرت في الدفاع عن الأيالة، والمحافظة على إستقرارها السياسي (**Show, 1830,page353**)، وجباية الضرائب لبيت المال، وكانت هذه المداخيل لا توظف في نشر العلم وتطوير الحياة الثقافية وإنعاشها، وإنما كانت تصرف على الجيش وعلى موظفي الدولة.

بالتالي فإن التعليم في الجزائر كان مسألة خاصة إعتمدت على جهود الأفراد والمؤسسات الخيرية التي كانت تعتني وتختص بشؤون التعليم من حيث تأسيس المدارس وتحضير المدرسين وتنظيم التلاميذ، ووضع البرامج الدراسية إلى غير ذلك، وإذا كانت الدولة العثمانية لم تول إهتماما وعناية بشؤون التربية والتعليم، فهي من جهة أخرى لم تعمل على عرقلة ومحاربة التعليم الخاص (العربي الإسلامي) الذي إنتشر إنتشارا واسعا في هذه الفترة بشهادة الفرنسيين ويمكن أن نسمي موقفها هذا بالحياد الإيجابي (**حلوش، 1999، ص25**).

كان التعليم إذن خاصا يقوم على جهود الأفراد والمؤسسات الخيرية ويدخل في هذا العموم رجال الدولة أيضا ولكن كأفراد مثل مُحَمَّد الكبيروصالح باي (**سعد الله، 1985، ص318**)، فالأباء كانوا يسهرون على تعليم أولادهم كونهم كانوا يحترمون الإنسان المتعلم حيث تكفلت الأسر الجزائرية بتعليم أبناءها تعاليم الدين الإسلامي فحفظ القرآن هو بداية المعرفة ثم تعلم علوم القران في المرحلة الثانوية والعالية التي تختم بالإجازات العلمية من علماء المشرق والمغرب(**Père, 1637**) .

ثانيا : السياسة التعليمية:

1-أطوار التعليم:

يعتبر التعليم من القواعد الأساسية التي تساعد على إزدهار الثقافة وإنتشارها في المجتمع، وقد أدرك الجزائريون أهمية التعليم ودوره في هذا الجانب، فلهذا كانوا حريصين على تعليم أبنائهم، وما يؤكد ذلك العدد الكبير من المؤسسات التعليمية التي كانت منتشرة في الإيالة، فكان يوجد في المدن الجزائرية عدد من المؤسسات التعليمية المتمثلة في الكتاتيب والمساجد والمدارس والزوايا، ومنها ما هو خاص يشرف عليه الأهالي، ومنها ما هو عام تتولى أمره الأوقاف، وكانت بعض الأسر تعلم أبنائها في منازلها (**كاثكارت، 1982، ص 56**)، أما في الأرياف فإن التعليم كان يتم في المساجد والزوايا، وكانت كل القرى الجزائرية تحتوي على مسجد الذي كان فضاء يستغل في تعليم الأطفال إلى جانب دوره الديني والاجتماعي، و ساهمت المعمرات و الزوايا في الأرياف التي عرفت إنتشارا واسعا في بداية العهد العثماني في نشر التعليم (**الزواوي، 2005، ص117**) كما سمح نظامها الداخلي بإستقبال الطلبة الوافدين من المناطق البعيدة.

إنقسم التعليم إلى ثلاث أطوار خلال هذا العهد:

أ- الطور الأول:

يلتحق فيه الأطفال بالكتاتيب في سن السادسة وكان يشرف عليه المؤدب الذي يختاره السكان لذلك، بإعتباره يعرف جيدا القراءة والكتابة، ليقوم بمهمة تعليم التلاميذ، فيتعلمون خلال هذه المرحلة القراءة والكتابة ومبادئ اللغة، وحفظ القرآن الكريم وقواعد الحساب، وكانت أدواتهم الأساسية تتمثل في الألواح الخشبية وأقلام من القصب والصلصال، وقد أشاد قنصل أمريكا السيد شالير بالطريقة التربوية المنتهجة في الكتاتيب، ولاحظ أن النظام التربوي لا يكلف إلا شيئا قليلا من المال (**شالير، 1982 ، ص 57**)، أما التسمية الشائعة للمؤدب فهي سيدي الشيخ.

أسهمت المصادر في وصف طريقة التدريس المتبعة في الكتاتيب وحسب مصادر القرنين 12هـ و13هـ 18م و19م، فإن طريقة التدريس لم تتغير طوال العهد العثماني نظرا لحفاظ الناس على تعليم القرآن وفق ما درجوا عليه دون المحاولة في التجديد أو الابتكار، وفي هذا الشأن يقول إبن خلدون" إعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب في رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعد متون الأحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعده من الملكات وسبب ذلك أن تعليم الصغار أشد رسوخا وهو أصل لما بعده لأنه السابق الأول إلى القلوب كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس وأساليبه ويكون حال ما يبنى عليه" (**خلدون، 1981، ص 220**).

ب- الطور الثاني:

كانت تشرف عليه المدارس والمساجد(**Noushi**, **1955**, **page386**) في الوسط الحضري والزوايا في الوسط الريفي، وكان التعليم مجانا، يقوم بوظيفته المدرس المعين من طرف الباي(**Marcel**, **1954**,**page 5**) ويتلقى أجرته من الأوقاف، وكان التعليم الثانوي يضم ما بين 2 أو3 آلاف تلميذ يزاولون دراستهم في كل مقاطعة، وهو ما يمثل 20 في المائة من الشباب(**Bontems**, **1976**, **page44**) ، أما عدد المدارس فكان مختلفا من مدينة إلى أخرى ويصل في بعض المدن كتلمسان إلى 5 مدارس، وينخفض في بعضها إلى مدرستين كمستغانم، وفيها يتلقى الطالب مبادئ الفقه واللغة والنحو والصرف والفرائض والحساب ونلاحظ هنا أن التعليم كان مرتبطا بالحركة الدينية، حيث كان الطابع الديني ميزة هذه المرحلة وعاملا أساسيا في ثقافة هذا العصر(**Chentouf**, **2004**, **page160**) .

ج- الطور الثالث أو العالي:

خصص الطور الثالث أو العالي للعلوم الدينية كالفقه والتفسير والحديث والتوحيد وغيرها وقد قال أحمد توفيق المدني في هذا الشأن".... أما التعليم العالي فكان بالمساجد والزوايا يتولاه شيوخ من المشهود لهم بالدراية والنزاهة (**المدني**، **1984**، **ص 304**) "، وهناك من لاحظ أنه رغم إفتقار الجزائر إلى المعاهد العليا في حجم القرويين والأزهر والزيتونة، إلا أن الدروس كانت تلقى في بعض جوامعها تضاهي دروس جامع الأمويين بدمشق، والحرمين الشريفين، وكان المدرس بالتعليم العالي يواجه تحديات كثيرة كون ميادين التعليم ضيقة والتنافس عليها شديد من جهة وعليه إكتساب رضي الباي أو الباشا من جهة أخرى (**سعد الله**، **1985**، **ج1** ، **ص301**).

ما يجدر بنا ملاحظته حول التعليم، وجود شبه سياسة عثمانية في تبادل الأساتذة مع البلاد الإسلامية الأخرى، فقد سمح العثمانيون لعلماء غير جزائريين بإستيطان الجزائر والتدريس والتوظف فيها، كما سمحوا لعلماء الجزائر وطلبتها بالإلتحاق بالمعاهد الإسلامية خارج الجزائر، حتى مع البلدان التي كانت بينها وبينهم توترات سياسية كالمغرب الأقصى، بل حتى عندما يتعلق الأمر بنقل مذاهب صوفية معارضة للعثمانيين بالجزائر كتعاليم الطريقة الدرقاوية والطيبية، ويعتقد الدكتور سعد الله أن مصدر هذا التسامح في تبادل الخبرات يعود إلى عقيدة العثمانيين من الدين ورجاله، فهم رغم الإختلافات السياسية أحيانا تركوا أبواب الجزائر مفتوحة على العالم الإسلامي (**سعد الله، 1985، ج2، ص 323**).

ثالثا: وسائل التعليم:

أ- المعلمـون:

يعتبر المعلم عمدة التعليم والمثل الأعلى للطلاب، فهو ناشر العلم بين الناس وموجهه، ورغم أن مهنته تعتبر من أشرف المهن، إلا أنها الأكثر فقرا لصاحبها والمعلمون صنفين: معلموا المدن ومعلموا الأرياف وفي كلتا الحالتين هناك درجتان للمعلم فهو مؤدب للصبيان إذ كان يباشر التعليم الإبتدائي، وهو معلم أو مدرس إذ كان يباشر التعليم الثانوي (**سعد الله، 1985،ج2، ص325**) أو هو أستاذ أو شيخ إذا كان يدرس في المستوى العالي، وكان يقع الإختيار عليه وفق شروط معينة من قبل الواقف أو أهل الحي تتمثل في نسبه فأحيانا كانوا يفضلون أن يكون المؤدب من أهل الأندلس أو من الشرفاء، كما كانوا يشترطون فيه التقى والصلاح وحفظ القرآن الكريم، وهذا تبعا لما سينفقونه عليه من أموال وما سيغدقونه عليه من هدايا وبعض ضروريات الحياة، وهذا ما جعلهم يتحكمون في مصيره أحيانا، فإن أعجبهم مكث وإن بدر منه شيء لم يرقهم يستبدلونه بمؤدب آخر، أو ينقلون أطفالهم إلى كتاب أو

مدرسة أخرى حسب مستوى التلميذ، فقد ذكر ابن حمادوش أنه نقل إبنه من مكتب العمالي إلى مكتب الشماعين (**حمادوش، 1983 ، ص211**).

يشبه مؤدب الريف مؤدب المدينة إلى حد كبير ولكن يختلف عنه في بعض التفاصيل، فأهل الريف يختارون مؤدب لتعليم أطفالهم تتوفر فيه الثقة والأخلاق الفاضلة والسيرة الحسنة لأنه بدوره سيشرف على أمور الأهالي الإجتماعية والدينية وبالتالي تكون صلته بهم أشد وأقوى لأن معيشته تتوقف على رضاهم، أما المؤدب بالمدينة فإن تسميته في هذه الوظيفة تأتي من حكام البلاد، فإذا كان في دار السلطان فالتسمية من الباشا أو من خليفته، وإذا كان من الأقاليم فالتسمية من البايات أو من قائد الدار وهذه التسمية تضمن للمعلم أجرا ثابثا من الأوقاف وهدايا وعطايا خلال مناسبات عيد الفطر أو ليلة القدر أو المولد النبوي الشريف .

كما تضمن له جزءا من الغنائم إذا كان على علاقة جيدة بالباشا وهذا ما جعل باب التنافس شديدا بين المدرسين وصل إلى إستعمال وسائل غير لائقة للوصول إلى أهدافهم، غير أن البقاء في ميدان التعليم غير قار ولا مضمون فهو يخضع لظروف إجتماعية منها سمعة المعلم ودرجة علمه بين الناس، وظروف سياسية تتمثل في وفرة الوقف وتنصيب الحاكم الجديد الذي تختلف سياسته ومزاجه حول التعليم، وهذا ما جعل مدرسي الأرياف أكثر حظا من هذه الناحية من مدرسي المدن.

إشتهر خلال هذا العهد وفي كل مدينة عدد من المدرسين والأساتذة وسجلت كتب السيرة أخبارهم وأخبار تلامذتهم وعلاقتهم مع الناس (**الله، 1985، ج1، ص، 326**)، وبأهل السلطة ومن الكتب التي إنفردت بمثل هذه السير نجد (البستان) لإبن مريم و(مطلب الفوز) للبطيوي، و(منشور الهداية) للفكون، ورحلة الورتيلاني، ورحلة أبي راس الناصري في باب"ذكر أشياخي النافضين عني قشب أوساخي" (**الناصري،**

1990، ص41)، وتاريخ إبن المفتي...الخ، و تظل هذه المؤلفات مصدرا أساسيا لدراسة مشاهير الأساتذة في الجزائر خلال العصر المذكور.

الجدير بالذكر أنه إذا إشتهر نخبة من المدرسين في وقت واحد وتنافسوا فيما بينهم من حيث درجة العلم وإتساع حلقاته فينتج عن ذلك حركة علمية نشيطة يجد فيها الطلاب مجالا للإختيار والحكم على أساتذتهم، فقد كان في الجامع الكبير بالعاصمة حوالي 19 أستاذا ومدرسا في فنون مختلفة، وشهدت مراكز التعليم في مدينة معسكر في أواخر القرن 18م حركة جد حيوية شارك فيها أبوراس الناصر وبوجلال و الطاهر بن حوا ومحمد بن زرفة، وإجتمع في قسنطينة مدرسون وأساتذة أمثال عبد القادر راشدي وأحمد العباسي وشعبان بن جلول وعمار الغربي(**التلمساني، 2017، ص145**)، و يعد عبد الكريم بن الفكون من أشهر المدرسين في مدينة قسنطينة وإشتغل في هذا المجال منذ صغره، و تخرج على يده عدد كبير من التلاميذ خاصة في علم النحو و توابعه، و كان يدرس في المسجد و في الزاوية و في داره، و لم يتوقف عن التدريس حتى لازمه مرض لعدة سنوات(**سعد الله، شيخ الإسلام...، 1986، ص89**)، كما ضمت زاوية القيطنة في بداية القرن الثالث عشر حوالي 7 حلقات تدريس على رأس كل منها مدرس كالشيخ على بن يحيى السلكسيني بتلمسان (**التلمساني، 2017، ص145**)، ومن أشهر المدرسين بالأرياف والصحراء نجد خليفة بن حسن القماري بوادي سوف، ومحمد بن عبد الكريم التواتي بإقليم التوات (**فرج، 1984، ص95**).

تجدر الإشارة في هذا المقام لوجود بعض الإستثناءات لعلماء و مدرسين حاولوا تجديد أساليب التدريس من خلال تقديم بعض التوجيهات و التصويبات، و من أشهرها محاولة إبن العنابي توجيه التعليم في الكتاتيب القرآنية من خلال تأليفه لكتاب إمعان البيان في مسألة الإجازة على القرآن، وكتابه الفريد في علم التجويد الذي قدم فيه بعض الملاحظات في آداب مجلس القرآن للطلبة و الصبيان(**سعد الله، رائد التجديد**

الإسلامي...، 1990، ص96)، و ألفه بعدما لاحظ في كثير من مجالس التعليم عدم التناسق في التجويد و شيوع اللحن بين الطلبة مع ضرورة عدم الإنقطاع عن قراءة القرآن، و هو يهدف بذلك إلى توحيد طريقة تحفيظ القرآن الكريم الذي يمثل القاعدة الأساسية في البناء الديني و الفكري للطلبة الصبيان(**لفريح،2021، ص ص 97-140**).

ب- أجور المعلمين:

إختلفت المصادر والمراجع حول مرتبات المؤدبين والأساتذة خلال العهد العثماني هذه الأخيرة التي كانوا يتحصلون عليها إما عن طريق الأجور الشهرية التي يدفعها الأهالي للمؤدب إما نقدا أو عينا (مبالغ مالية أو المؤن كالقمح والزيتون وغيرها...) (**نورالدين، 1965،ص172**)، أو من الأوقاف التي كانت تشرف على نفقات التعليم الابتدائي والعالي(**Chitour, 2001,page120**) ، و التي تنص على تخصيص مبالغ مالية للمعلمين كما تنص على توفير السكن لعدد من الطلبة الدارسين والطلبة العلماء الغرباء أو الفقراء.

فزاوية القشاش مثلا أدت دور الملجأ والمدرسة حيث كان يبيت فيها الطلبة ويحصلون فيها على الطعام ومن بين الذين لجأوا إليها أبو راس الناصر وكان لزاوية القشاش مدرس واحد يدرس الفقه والتوحيد و 10 قراء، وقد نصت وقفيتها على تخصيص مبلغ من المال للأستاذ المكلف بتدريس الشريعة والتوحيد، ونصت وقفية جامع عبدي باشا على صرف 5 ريالات فضية للأستاذ الملحق بالجامع وصرف ريال لمساعده ومسمعه، وجاء في عقد تحبيس مسجد خيضر باشا صرف 24 دينارا سنويا للأستاذ المالكي وللأستاذ الذي سيقرأ صحيح البخاري وإبن حزم 60 دينارا

سنويا (**Albert, 1868,page24**) ، وصرفت مدا خيل مسجد حسين ميزومورطو 35 دينارا للأستاذ المالكي(**Albert, 1868, page32**) .

كانت أوقاف سبل الخيرات تنفق بسخاء على مدرسي وأساتذة الجامع الكبير ونصت وقفية زاوية شيخ البلاد على تخصيص محبوب للأستاذ الذي يتولى تدريس العلوم النقلية والعقلية بها، و مما يمكن ملاحظته هو أن الحكام قد أولوا عناية خاصة بالتعليم والمعلمين في النصف الثاني من القرن 12هـ/.18م وقد شجعهم على ذلك الإستقرار السياسي الذي عرفته البلاد في الفترة المذكورة، فكانت إحدى أولويات صالح باي نشر التعليم والسهر على تعميمه في بايليك الشرق، فقد أجرى على الأستاذ الذي يتولى التدريس في مدرسة سيدي الكتاني 30 ريالا شهريا، و 48 ريالا شهريا لأستاذ المدرسة الملحقة بمسجد سيدي لخضر (**Vayssettes, 2002,page134**).

يعد الباي محمد الكبير من البايات الذين قدموا الكثير لقطاع التعليم وذلك بتخصيص رواتب شهرية للأساتذة حيث جعل لمدرس صحيح البخاري 40 ريالا، ولمدرسي الفقه والحديث والتفسير 23 ريالا لكل واحد منهم (**بلبراوات، 2005،ص207**) وهذا بقطع النظر عن الأوقاف (**سعد الله، 1985، ج1،ص333**)، وبذلك ازدهر التعليم وإنبسطت رقعة الرزق أمام المدرسين وأقبلوا على القراءة بعد خمول وكثر الطلبة، وفي هذا الصدد يقول إبن سحنون" وتشوق كل أحد للتدريس (**الراشدي، 1975، ص127**) "، ومهما كانت نوايا الباي الحقيقية من وراء سياسته التعليمية فإنه أعاد الاعتبار للعلماء مما ساعد على إحياء الحياة الثقافية في بايليك الغرب (**الزياني، 1978 ،ص165**) ، بالإضافة إلى ذلك كان المدرسون يتلقون مبالغ مالية أخرى في شكل هدايا أو عطايا في مناسبات معينة.

فكما إختلفت المصادر المحلية في تحديد أجور المدرسين، فالمصادر الأجنبية كذلك فقد ذكر روزي أن المدرسين كانوا يتقاضون 4 موزونات في المرحلة الأولى من التعليم، و 8 موزونات في المرحلة الثانية(**rozet, 1833,page 86**) ، وذكر شاو أن أجرة المعلم كانت أقل من 2 فرنك أسبوعيا للتلميذ الواحد (**Show, 1830,page78**)، ولقد وصلت المبالغ المالية التي كان يدفعها الباي للمدرسين إلى3 دنانير(**Aranburu, 1978,page143**) .

أما أجور المؤدبين فقد كانت أكثر غموضا من أجور المدرسين والأساتذة والتي تكفل بدفعها الأهالي، وقد سئل أحمد بن يحيى الونشريسي عن الإجارة على تعليم القرآن فقال: " سئل بن رشد عن الإجارة في تعليم القرآن فأجاب بأن مذهب مالك وجل العلماء جواز الإجارة على تعليم القرآن، ومن لم يجزها بشرط كانت أو غيره محجوح بمذهب الجمهور، والقدوة والحجة لهم من الأثر والحديث الدي ذكرت وما هو مثله، ومن جهة القياس هذا عمل لا يجب عليه فجائز أخذ الإجارة عليه، وإن كان قربة مثل بناء المسجد ومن حمله على ظاهره في تحريم الأجرة، قال كان ذلك أول الإسلام حيث كان تعليمه فرض عين ولا يجب على أحد ترك معاشه وشغله ويجلس للتعليم فلهذا كان له أخذ الأجرة على ذلك (**الونشريسي، 1981، ص15**) ".

وبناءا على بعض المعطيات فقد كان المؤدب يأخذ حوالي 30 فرنك شهريا على كل طفل موزعة كالآتي: 14 أجرة، 5 في شكل هدايا في الأعياد والمناسبات مثل مناسبة حفظ القرآن، و 11 عطايا خلال مراحل تعلم الطفل (**سعد الله، 1985، ج1،ص338**)، و كان لكل مؤدب ما بين 20 أو 30 طفلا فيكون معدل دخل المؤدب اليومي حوالي فرنكين، ويضاف إلى ذلك مدخول المنح الاستثنائية والوظائف الأخرى كالإمامة والآذان وهذا ما جعل الحالة المادية للمؤدب مستقرة، وذكر روزي

أن التلاميذ كانوا يدفعون للمؤدب من 3 إلى 4 أرباع بوجو في كل قمر **(rozet, 1833,page78)**، وحدد شاو أجرته بما يعادل بيني إنجليزي أسبوعيا **(Show, 1830,pag354)**، وهذا دليل على أن تكاليف التعليم الإبتدائي كانت هينة جدا يتحملها الآباء كما تجدر الإشارة أن التلاميذ المعوزين كانوا يتعلمون بالمجان.

من الواضح أن تكاليف التعليم الابتدائي لم تك في شكل نقود أسبوعية أو شهرية للمؤدب، فقد كان أولياء التلاميذ يرسلون إلى المؤدب بعض ضروريات الحياة كالثياب والحطب والزيت والحلويات والقمح واللحم والزيتون ونحوها حسب الحالة المادية للعائلة بالريف أو المدينة.

من هنا نستطيع أن نصل إلى وجه المقارنة بين أجرة المؤدبين والأساتذة:

- أجرة المؤدب وافرة ومستقرة نسبيا في أي حال من الأحوال ولاسيما إذا كان من المتصوفة، أما مرتب المدرس فهو غير مستقر وغير مضمون فالوقف قد ينضب ولا يكفي حاجة الجامع والزاوية والهدايا قد لا تأتي في مناسباتها لأنها مرتبطة بأمزجة أصحابها وكرم الحكام وظروف العائلات.
- إن اللاستقرار في أجرة المدرس والأستاذ أدى إلى نفور المعلمين وهجرانهم لمهنة التعليم بالجزائر، ومزاولة أنشطة أخرى كالتجارة وغيرها، كما اضطرت الحياة عددا من الطلبة إلى الهجرة إما لطلب المزيد من العلم أو لطلب العيش في ظروف أفضل وهذا ما أثر على التعليم وجعله في جملته ضعيفا.

أثر على الإنتاج الثقافي وسد الرغبة في الخوض فيه، وقد عبر عن ذلك أبو القاسم الزياني قائلا: "وهؤلاء الطلبة بتلمسان ليس فيهم من يحسن منطقا ولا لغة ولا عربية لإصلاح اللسان، ولا يتعاطون الفروع الفقهية والأحاديث النبوية" **(الزياني ا. 1991م، ص144)**.

ج- التلاميذ:

كانت أعمار المترددين على الكتاتيب تتراوح بين 6 و 14 سنة، وفي السن الأخيرة يكون التلميذ قد ختم القرآن الكريم مرة أو عدة مرات وتعلم القراءة والكتابة وقواعد الدين وأوليات الحساب، وقد يصبح في السنتين الأخيرتين مساعدا للمؤدب في تعليم الأطفال الأصغر منه سنا، ومن عادة سكان الريف أنهم كانوا يرسلون أبناءهم إلى المدينة للتعلم وفي هذه الحالة تتكفل بعض الزوايا أو أقاربهم بإيوائهم بالمجان، وكل أسرة يتقدم أطفالها في تعليمهم تعتبر محظوظة وسعيدة والدليل على إهتمام سكان ايالة الجزائر بتعليم أبنائهم طريقة الاحتفال بالطفل بمناسبة إنتهائه من حفظ لقرآن الكريم، حيث كان أهل الطفل يعدون طعاما طيبا يدعى إليه المؤدب وزملاء الطفل الصغار وكان الطفل يمنح قطعة من القماش الجميل من الكتان أو الحرير ليخيط ثوبا ليرتديه، أو يمنح قطعا نقدية حسب إمكانية كل عائلة ليشتري ثوبا جاهزا في حين كان آخرون يقدمون له هذا الثوب جاهزا والمتمثل في الفرجة.

هكذا كان الطفل الحافظ للقرآن الكريم يرتدي أجمل ملابسه، و يوضع على ظهر حصان ويجوب أزقة المدينة رفقة زملائه من الأطفال والكل سعيد بهذه المناسبة (**Père, 1637,page28**)، فكانوا ينطلقون في موكب ملؤه النشاط والسعادة معلنين نجاح زميلهم مرددين عبارة البشائر والتهاني، وكان يتقدم الموكب عادة عازفي الغايطة والمزامير الذين كانوا يضفون عليه جوا بهيجا وبعد القيام بجولة في المدينة كان يتم إيصال هذا الطفل إلى منزله حيث كان يأكل رفقة أصدقائه ما أعده أهله من أطعمة للمناسبة.

منذ هذه المناسبة يدخل الطالب حياة جديدة، فهو إما ينخرط في سلك الطلبة و يتابع دراسته الثانوية (**سعد الله، 1985، ج1، ص336**) وإما أن يصبح بدوره

مؤدبا وإما أن يزاول نشاطا في ميدان ما مع أهله، وقد تختلف حظوظ الأطفال في مواصلة تعليمهم والمعروف أن أبناء الأغنياء هم عادة الذين يواصلون تعليمهم على عكس أبناء الفقراء.

- لا توجد إحصاءات دقيقة وشاملة لعدد التلاميذ فكل الإحصاءات في هذا الشأن تقريبية فقد كان عدد التلاميذ في كل كتاب يتراوح مابين 15 و 30 **(rozet, 1833,page74)**، وهو يختلف حسب كثافة السكان ونسبة نجاح المؤدب وسمعته ففي مدينة تلمسان مثلا بلغ عدد التلاميذ نحو 2000 تلميذ يزاولون دراستهم في 50 مدرسة**(Marcel, 1954,page13)** ، كما ضمنت مدارس قسنطينة حوالي 1350 تلميذا**(Noushi, 1955,page386)** ، وكانت مدارس مدينة الجزائر الإبتدائية تضم حوالي 2000 تلميذ **(سعد الله، 1985، ج1، ص337)**، وهذا دليل على حرص الأهالي على تعليم أبنائهم في المرحلة الإبتدائية لأنها دعامة المراحل الدراسية الأخرى .
- أما التعليم الثانوي فهو أساسا تعليم مجاني لا يدفع فيه الطالب شيئا بل يصبح مدفوعا له، وتذكر الإحصاءات على أن 150 طالبا في قسنطينة من جملة 700 كانوا يحصلون من الوقف على منحة سنوية مقدارها 36 فرنكا، كما كانت إدارة الأوقاف توفر لهم المأوى والمأكل وكان حوالي ثلثي هذا العدد طلبة من الأرياف.
- غير أن مصدر التعليم الثانوي ليس متوفرا دائما فالأوقاف قد يعتريها الخلل أو عدم الإستقرار لذلك كان الواقفون في أغلب الأحيان يحددون عدد المستفيدين من الوقف، فقد إشترط وقف مدرسة صالح باي بقسنطينة قبول 8 طلاب فقط في النظام الداخلي على أن يسكن كل طالبين في غرفة واحدة **(المدني، 1984، ص153)**، ونص وقف زاوية شيخ البلاد بالعاصمة على أن يكون الطلبة من الأتراك، وإستقبلت مدرسة سوق الغزل بقسنطينة 12 طالبا يحصلون على 144

ريالا، وأشارت بعض الإحصاءات أن زاوية القيطنة كانت تضم قبل الإحتلال مابين 500 و 600 طالب، وذكر الدكتور سعد الله أن التعليم الثانوي كان يمنح لعدد يتراوح بين 2000 و 3000 طالب في كل إقليم من الأقاليم الثلاثة، أي بين 6 و 9 آلاف طالب في كل قطر (**سعد الله، 1985، ج2، ص339**).

رغم هذه الإحصاءات إلا أنه لم يك بالجزائر تعليما عاليا بالمستوى المطلوب بإستثناء الدروس التي كانت تلقى بالجامع الكبير بالعاصمة وتلمسان وقسنطينة، وفي مدارس معسكر في حضرة الشيخ أبي راس الناصر، وزوايا ابن علي الشريف في مازونة، وكلها بدايات مرهونة بسمعة الأستاذ والظروف السياسية، ولم تك تخضع لقواعد أو لبرامج معينة (**سعد الله، 1985، ج1،ص339**)، وكان أستاذ التعليم العالي في العادة يلقي 3 دروس يوميا واحد في الصباح وثان بين الظهر والعصر وثالث بين العصر والمغرب، وكل درس كان يستغرق من ساعة إلى ساعتين ونصف أي بمعدل سبع ساعات يوميا، وكان لكل أستاذ مسمع أو ملل وكانت حلقة الدرس مفتوحة للجميع وأشار (ايمريت) أن بعض المراكز كانت تستقبل بين 600 و 800 طالب في كل إقليم أي بين 1800 و 2400 طالب في القطر كله.

رغم الجهود المبذولة في هذا المجال إلا أنه واجهته بعض العراقيل أحيانا إضطر بعض الطلبة إلى مواصلة تعليمهم بجامعات شهيرة مثل كالقروين والزيتونة والأزهر (**Albert, 1868,page173**)، أما من لا يحالفهم الحظ فقد إستقروا ببلادهم منشغلين بمهن حرة أو تولوا خطة التدريس بالكتاتيب.

د- الكتب:

لا يكون التعليم نشيطا ومتطورا إلا إذا توفرت مجموعة كبيرة من الكتب، فقد كانت في الجزائر في العهد العثماني كتبا عديدة تحتوي على أغلب الاختصاصات وخاصة الدينية، وكانت على شكل مخطوطات قديمة ونادرة إهتم أصحابها بجمعها من مناطق مختلفة خاصة في المشرق العربي والأندلس أثناء رحلاتهم وتنقلاتهم وزياراتهم العلمية وكذلك أثناء حجهم (**حليمي، 1972،ص172**)، و يعترف الفرنسيون أنفسهم بوفرة الكتب في الجزائر خاصة في السنوات الأولى للاحتلال، فراحوا يجمعون هذه الكتب والمخطوطات من مكتبات المدن الجزائرية التي وقعت في أيديهم حتى المدن البعيدة منها مقابل أثمان زهيدة أو بعض الهدايا أو نهبها.

إذا كانت بعض الكتب تستورد من الخارج فقد كانت تنتج كذلك محليا في الجزائر عن طريق التأليف والنسخ، و إشتهرت عدة مدن في الجزائر باهتمامها بجمع الكتب وتصنيفها وإنشاء مكتبات وهذه المدن هي: تلمسان، قسنطينة، بجاية، مازونة، الجزائر العاصمة،معسكر ،كما كانت بعض المدن ذات مكتبات تضم مجموعة من الكتب العلمية والآلات الجهادية كمدينة وهران أي أنها كانت تضم مكتبة ومتحفا في الوقت نفسه(**سعد الله، 1985، ج1،ص342**)، وكثرة الكتب والمكتبات دليل على إهتمام وعناية الجزائريين بها في اقتنائها والإستفادة منها، حيث ذكر لالوي أن المخطوطات التي جمعها بيربروجر من قسنطينة كانت جميلة في الشكل والتجليد وأنها كانت واردة من بلدان إسلامية خاصة مصر و تركيا(**Albert, 1868, page173**) .

أما محتويات هذه الكتب تشمل كتب التفاسير والقراءات والأحاديث النبوية وشروحها وكتب الفقه والأصول والتوحيد والمصاحف وغيرها ،كما تشمل كذلك على الكتب العقلية واللغوية كالنحو والأدب ،الفلسفة،التاريخ والجغرافيا والمنطق وغيرها إلا

أن الكتب العلمية كانت قليلة مثل الحساب والطب والفلك ... ولا غرابة في ذلك لأن طبيعة العهد العثماني كانت فيه السيادة والأولوية للعلوم الدينية.

رابعا- المناهج التعليمية :

1- في الابتدائـي:

يعتبر كتاب "جامع جوامع الإختصار و التبيان فيما بين المعلمين و أباء الصبيان " لأبي جمعة المغراوي المؤلف الوحيد الذي تطرق إلى مناهج التدريس في الجزائر خلال العهد العثماني أوائل القرن 10، ولا نعرف أحدا غيره من العلماء قد ألف في هذا الصدد، حتى أبو راس الناصري الذي إشتهر بالتدريس وكثرة التآليف لم يتعرض إلى هذا الموضوع بإستثناء ما جاء في كتابات الرحالة و تقارير القناصل حول طريقة التدريس للطورين الابتدائي و الثانوي،رغم بساطتها بساطة التعليم نفسه.

حيث ذكر الأب دان خلال القرن 11 هـ (17 م) أنه كان يوجد بإيالة الجزائر عدة كتاتيب لتعليم الأطفال الصغار القراءة والكتابة ولا شيء أكثر، وكانت طريقة التعليم في الألواح الخشبية، إذ كان لكل تلميذ لوحته الخاصة به مما يسهل عليه عملية كتابة القرآن ومحو الحروف منها بسهولة، فالمؤدب كان يجلس عادة في صدر الكتاب متربعا على الحصير أو نحوه مسندا ظهره إلى الجدار مرتديا عمامة وجبة وفوقها أحيانا برنس، فيقوم بالإملاء وهو أن يجلس الصبي بالقرب من شيخه ويملي عليه الثمن أو الربع وكانت تتم القراءة بصوت مرتفع للآيات القرآنية والسور بالتكرار وهو أن يحفظ التلميذ ما في لوحته من حزب أو حزبين أو أكثر لما مر عليه من القرآن الكريم (**أحمد، 2003، ص47**)، ثم يرتله على مسامع شيخه الجالس أمامه على الحصير وبيده عصا طويلة تصل إلى أبعد تلميذ عند الحاجة لحفظ النظام (**حليمي، 1972، ص172**)، وكان يلتفت يمنة ويسرة يراقب حركات التلاميذ وأدائهم لواجبهم، وقد كان

التلاميذ بدورهم يحلقون حول المؤدب على زرابي وحصائر في نصف دائرة وإذا كثر يتعدد الصف، وهم متربعين وبيد كل واحد منهم لوحة كبيرة أو صغيرة حسب إمكانيات التلميذ وعمره، وعلى اللوحة كتب درسان من آيات القرآن الكريم، فعلى الوجه الأول درس اليوم إذا حفظ التلميذ درس الأمس واستظهره على المؤدب وأجاز له محوه وكتابة درس جديد.

في هذا الصدد يقول ابن خلدون " فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء ذلك المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه لا يخلطون ذلك، بسواه في شيء من مجالس تعليمهم ...." **(خلدون، 1981،ص220)**، وبذلك يحل درس اليوم محل درس الأمس، وهكذا حتى يتم التلميذ حفظ وكتابة القرآن الكريم كاملا، وكان كل تلميذ يمسك بلوحته بيديه إما من جانبيها وإما من خيط مثبت في أعلى وسطها، وهو في جلسته يتحرك بجسمه ورأسه أماما وخلفا وأحيانا يمينا وشمالا، وهو يقرأ الآيات المكتوبة بصوت عال **(سعد الله، 1985، ج1، ص344)**، ويشترك جميع التلاميذ في ذلك والملاحظ أنه في هذه الكتاتيب لا يوجد أي نوع من التمييز فإلى جانب إبن الحرفي كان يجلس ابن القاضي لمعاقبة الأطفال الذين لا يجتهدون في التعليم أو المشاغبين منهم كانت تستعمل الفلقة، حيث كانوا يضربون على أقدامهم بواسطة عصى خشبية عشرة أو عشرين مرة حتى تدمى القدمان، والهدف من استعمالها هو الإبقاء على النظام وجلب الانتباه بالدرجة الأولى**(Père, 1637,page28)**.

كان التلاميذ يذهبون إلى الكتاب مرتين في اليوم صباحا و مساءا، حيث كانوا يبقون في الكتاب خلال الفترتين حوالي ساعتين، وقد جرت العادة أن الجلسة الصباحية هي المهمة لأن الإستظهار والمحو والكتابة من جديد يتم خلالها، فالتلميذ يغدو صباحا عند طلوع الشمس فيأخذ لوحته ويستظهر درسه بنفسه أو بمعاونة

زميله، فإذا وثق من حفظه عرضه على المؤدب، الذي إذا وثق أن التلميذ قد تمكن من الحفظ أذن له بمحوه (**سعد الله، 1985، ج1،ص344**)، ويذهب الأطفال الواحد بعد الآخر بعد الإستظهار لمحو ألواحهم وتجفيفها في الشمس ويعودون بها مصقولة ويجلسون بالقرب من المؤدب في غير نظام ويكتبون آخر الآية الموجودة في درس الأمس كبداية للدرس الجديد، ثم يستملون المؤدب لربع الحزب الجديد أو نصفه فيواصل هو الإملاء تلقائيا إلى أن يشير على التلميذ بالتوقف عندما يدرك كفايته لما إستملاه عليه.

عندما ينتهي التلميذ من مرحلة الإملاء يتراجع ويأخذ مكانه في الحلقة ويشرع في قراءة الدرس الجديد، فإذا إنتهى الجميع من الكتابة وتحلقوا حول المؤدب يكون الوقت الصباحي قد إنتهى ثم يبقى التلاميذ في انتظار الإشارة من المؤدب بالسراح (**الله، 1985، ج1،ص345**)، أما جلسة المساء فهي في الغالب لمجرد القراءة للدرس إستعدادا لعرضه ومحوه في صباح اليوم التالي، وقد جرت العادة أن يجمع المؤدب في كل يوم بعد صلاة المغرب والإنتهاء من قراءة الحزب اليومي طلبته في حلقة ويقرأ لهم الخمس الأخيرة من القرآن، ثم يقرأ لهم بعض المتون الفقهية.

يحضى الصبية بعطلة تبدأ من يوم الأربعاء ضحى وتنتهي يوم الجمعة مساء، ويستفيدون في الأعياد الدينية من عطلة تدوم أسبوعين أسبوع قبل العيد وأسبوع بعده، كما يمنحون عطلة أسبوع بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ويستفيدون أيضا من عدم القراءة ليلا يوم الأحد من كل أسبوع (**فرج، 1984،ص86**)، وقليلا ما كانت تستعمل العقوبة وأخفها التأنيب أو النهر، أما أقساها فهي تسليط الفلقة، فاللجوء إلى الضرب لا يكون إلا في الحالات النادرة لأن العلاقة بين المؤدب وطلبة العلم علاقة إحترام الصغير للكبير وقد كانت مبدءا سائدا في المجتمع كله إلى جانب

احترام حفظة القرآن ورجال العلم من طرف أفراد المجتمع، ويعتبر ذلك بمثابة تقليد متوارث، فقد كان الشيخ أو المؤدب بمثابة الأب الروحي لتلامذته (**سعد الله، 1985، ج1 ،ص346**)، أما إذا كان المؤدب مزاجي وغير متوازن ويستعمل الضرب العشوائي ضد الطلبة فإن الأولياء يستاءون من هذه الممارسة في التربية، فيعاقب عقابا قاسيا وصارمايصل حد الإعفاء من مهمته(**Tassy, 1725,page192**) .

فهكذا كان التعليم وطرقه التربوية جيدة ومتناسبة مع بساطة التعليم ومادته الثقافية التي تراعي تطور قدرات التلميذ على القراءة والكتابة لأنها تجعله يتعلم الطريقتين في آن واحد، ويعترف شالر بجدية هذه المنهجية نظرا لوجود الوحدة فيها وجمال خطها العربي (**شالر، 1982، ص82**).

كان التعليم أساسا يعتمد على ملكة الحفظ وكذلك على الذاكرة، فالتلميذ الذكي قد يختم القرآن حفظا وهو ما بين سن 10 أو 12 ويستمر التلميذ في تكرير القرآن على شيخه برواية ورش وقالون في 14 وأكثر،و في بعض الأحيان يساعده في تعليم التلاميذ الصغار بعد أن يتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب ويحفظ بعض المتون التي تكون أساس تعلمه الثانوي (**سعد الله، 1985، ج1، ص346**)، والواقع أن جو التعلم في الكتاب كان يتسم بالروتين فيتسلل الملل الى عقول التلامذة مما يضطرهم في بعض المرات إلى مغادرة الكتاب في سن مبكرة لولا جهود بعض المؤدبين في الترفيه عن تلامذتهم فيسامرونهم أو يشاطرونهم ألعابهم، روى مُحَّد بن سليمان في كتابه كعبة الطائفين أن مؤدبه عمر بن يوسف كان يخرج مع طلبته يوم الخميس إلى المرج خارج تلمسان ويلعب معهم الكرة، وكذلك تلك الاحتفالات التي كانت تقام على شرف التلميذ الذي يختم القرآن وما يتبعها من حفلات وولائم يخفف بها عن المؤدب والتلاميذ من جو الرتابة الدائم.

02- التعليم الثانوي :

يلتحق الطلاب بالمسجد أو الزاوية بعد إتمام مرحلة الكتاب لمواصلة تعليمهم الثانوي على يد الشيوخ الذين يقومون باختيارهم ،ومعظم الطلاب يتجهون صوب الزوايا لتكملة الدراسة وكثيرا منهم، **و** ينقطعون عنها لأسباب مادية خاصة أولاد الفقراء، فالزاوية لعبت دورا فعالا في التعليم وإعانة الطلبة الفقراء والغرباء(**سعد الله، 1985، ج1،ص347**)، وذلك بتوفير الإيواء لهم والطعام حسب إمكانيات ومداخيل كل زاوية (من الأوقاف وهدايا المحسنين)، ومن عادة الطلبة أنهم يقصدون المساجد والزوايا المشهورة للدراسة بها مثل مدرسة مازونة وزاوية ابن علي الشريف والجامع الكبير بالعاصمة.

أما برامج التعليم الثانوي فتخضع لإرادة المدرس (الشيخ) الذي يقوم بتدريس الطلبة وفي حالة غيابه يتولى أحد الطلبة النجباء الأكثر علما وخلق التدريس بالزاوية نيابة عن الشيخ، أما الطريقة فهي المعروفة في ذلك الوقت وتتمثل في الحلقة، إذ يتحلق الطلبة حول شيخهم، الذي يلقي عليهم الدرس إلقاءا على الطريقة التقليدية، وتكون متبوعة بمجموعة من الأسئلة يطرحها الطلبة بعد إنتهاء الدرس (**الله، 1985، ج1،ص348**) ، والجدير بالذكر أن تحديد أوقات الدرس من إختصاص المدرس، فبعضهم كان يلقى دروسا فصلية، أي يعدها في الصيف ويلقيها في الشتاء والبعض يلقى دروسه 3 مرات في اليوم في الصبح وبعد الظهر وبعد العصر (**المدني، 1984،ص153**).

بالتدرج تربط علاقة وطيدة بين الطالب والمدرس التي تتحكم فيها عدة مقاييس من بينها حسن السيرة والسمعة الطيبة والورع والكفاءة (**البوعبدلي، 1984،ص204**)، ذلك أن المدرس ينصح تلميذه بكيفية القراءة وبالكتب التي عليه أن

يدرسها وبطريقة تحضير الدرس، حيث يلازم الطالب شيخه سنوات طويلة أو شهورا عديدة، يحضر الجلسات ويشارك في الحلقات، ويجمع الشارد والوارد ويبرهن على الطاعة والإعجاب (**بلحميسي، 1979، ص23**)، ويتحكم في هذه العلاقة العامل النفسي من حيث سيطرة المدرس على مادته ومدى حفظه لمتونها وفروعها، وقوة شخصية في إلقاء الدرس وشد الإنتباه إليه فهذا المنجلاتي يلازم السجلماسي 14 عاما (**بلحميسي، 1979، ص23**)، وللطالب حرية الاستمرار مع المدرس أو الانتقال عنه إلى مدرس آخر أو حتى إلى مؤسسة أخرى فمدام البرنامج شخصيا فإن الإستمرار في أمر شخصي أيضا،كما تغير الرابطة القوية بين الطالب والأستاذ مجرى حياة الطالب أو تؤثر على مستقبله فكثيرا من الطلبة كانوا يغيرون وجهتهم بعد وفاة أو هجرة مدرسهم مثلما فعل سعيد قدورة عند وفاة شيخه أبهلول المجاجي(**سعد الله، 1985، ج1، ص349**).

تتميز دروس المرحلة الثانوية والعالية بالشرح والتفصيل والإملاء (**حلوش، 1999،ص34**)، فقد كان الطلبة يتحلقون حول الشيخ ويأخذ هذا الأخير بيتا أو فقرة من المصنف فيقرأه ويحلله ويشرحه، ويستشهد عليه من محفوظه من المعقول والمنقول، وبعد إتمام المقرر يتولى من عليه الدور من الطلبة سرد الشرح، وهذا السرد يتم بالتداول بين الطلبة أحدهم يقرأ والآخرون يتابعون من خلال شروحهم (**يوسف، 1986،ص201**)، وقد لا ينهي المدرس المسألة في نفس الجلسة، فتتعدد الجلسات فينسخ الطلبة الخلاصات بحذق وعناية خاصة إذا كان المدرس يخوض في الجزئية الواحدة عدة مرات، أما في درس الشيخ خليل فإن هناك طالبا يقرأ من المتن والشيخ يشرح ويقرأ وبعد إتمام الشيخ شرح جزء من المقرر يسود من له الدور من الطلبة شرح ذلك الجزء المدروس فيكثر النقاش عادة بين الشيخ والطلبة في هذه الفقرة، ثم يعود الشيخ إلى تقرير جزء آخر من المتن على الطريقة المتقدمة ويعود الطالب إلى سرد

الشرح فيحد النقاش وهكذا حتى ينتهي المقرر لذلك اليوم (**يوسف، 1986، ص201**)، وهذا النوع من الدروس يأخذ كثيرا من الوقت يمتد إلى 4 ساعات في الصباح الباكر (**الزواوي، 2005،ص71**).

يساهم الشيخ في حركة التدوين بوضع شروح وحواشي وتقاييد على المسائل التي عالجها لطلابه (**سعد الله، 1985، ج1 ، ص350**)، فيقبل عليها الطلاب بالنسخ والمذاكرة ويساعده في ذلك حفظه لعدة علوم مع أسانيدها وبذلك تكثر مجالسه العلمية وتتسع حلقات دروسه وقد ذكر أبو راس ذلك قائلا:" .... حتى جعلت على شرح الشيخ المكودي حاشيتين صغرى وكبرى، ولما ظهرت لي علامات النفع للطلبة تنافس الأشياخ في أخذي لتدريس أولادهم" (**الناصري، 1990،ص24**).

كانت مدة الدراسة غير محددة بل يتوقف كل شيء على استيعاب الطالب للمواد المقررة عليه حفظها وتعلمها،ويتعلم الطلبة في المرحلة الثانوية قواعد وآداب اللغة العربية من نحو وصرف وبيان وعروض ومنطق مع الحساب والجبر (**فرج، 1984،ص87**) ، وقد كانت العلوم العقلية نادرا ما تدرس للطلبة وهو الأمر الذي أكده شو خلال القرن 18م **(Show, 1830,page356)** ، أما العلوم الدينية فقد إحتلت الصدارة بين الدروس مثل الحديث والتفسير على مذهب مالك، وعند إنتهاء الطالب من إستيعاب كل ما تقدم يعقد له امتحان أمام شيخه، وبعد أن ينجح فيه يقيم له شيخه مع زملائه حفلة بهذه المناسبة تقرأ فيها بردة المديح ويرتدي المتخرج أفخر ثيابه ويجلس في مكان عال ويهنئه الجميع، على نجاحه (**فرج، 1984،ص87**) والدي غالبا ما كان يختم بإجازة أدبية.

03- التعليم العالي:

أما التعليم العالي فإن من أبرز سماته التنقل في تحصيله، فقد تميز الطلبة بكثرة التنقل إلى منابع الثقافة لإثراء معارفهم وتنويع مصادرهم، فكانوا يتنقلون بين أرجاء الدول العربية الإسلامية مشرقا ومغربا، لتوسيع آفاقهم العلمية والمعرفية، وكانوا يلازمون مشاهير العلماء والشيوخ في النوادي والمراكز الثقافية المنتشرة في العالم الإسلامي انداك. وهم يعكفون خلال هذه الفترة على تحصيل العلوم وتدوين الملاحظات والتقاييد والاحتكاك بالطلبة الآخرين ليتحصل في الأخير على إجازة تبين كفاءته التي تخوله لتدريس الفقه أو المنطق وغيرها من العلوم وتؤهله لرواية وتلقين المعارف على الصورة التي تلقاها بها، وحتى يحظى الدارس بثقة أهله ومواطنيه بعد العودة إلى بلاده لابد له من بيان يثبت أنه درس على يد علماء أجلاء وأنه أتقن أصنافا من العلوم وإغترف من أمهات الكتب و حفظ متون كلاسيكية، حتى يتمكن من مزاولة التعليم أو التصدر للخطابة، وكثيرا ما كان الطالب يتوقف عند مرحلة معينة إما لأسباب مادية أو تتلاشى معارفه إذ لم يحظ بوظيفة فيتجه إلى أمور أخرى فتكبح مواهبه وتنضب ثقافته وهي من بين عوامل تدني المستوى الثقافي بالجزائر خلال العهد العثماني(**بلحميسي، 1979، ص24**).

الخاتمة:

أجمعت أغلب المصادر التاريخية (المحلية _الغربية) على أن التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني كان خاصا وحرا حيث أشرف عليه فئة العلماء و الوجهاء كما تشاركت معها مختلف الفئات الإجتماعية الأخرى في تشييد بعض المرافق التعليمية، و دفع أجور المعلمين و المؤدبين نقدا أو عينا حسب حالتهم الإجتماعية و قد تميزت سياسة التعليم بأيالة الجزائر بعدة خصائص :

1. حرية تسيير المرافق التعليمية (الكتاتيب – الزوايا – المدارس–المساجد).
2. الإعتماد على الأوقاف كمصدر أساسي في تسيير موارد التعليم(تجهيزات – نفقات–أجور –الإيواء–الهبات .....).
3. تنظيم ساعات الدروس ،و برنامج المواد المدروسة في مختلف الأطوار ، وإمتحانات ا لحفظ والإلقاء أمام المعلم أوالأستاذ– وأيام العطل من طرف الأستاذ دون الرجوع إلى هيئة تعليمية نظامية في الدولة.
4. ضبط سن معين للتلاميذ في الأطوار الثلاثة في المدن وأحيانا يختلف في المناطق النائية بالأرياف.
5. حصر المواد المدروسة في العلوم النقلية: الدينية و اللسانية وإهمال جانب كبير من العلوم العقلية.
6. تراجع مستوى الطور الثالث(العالي) نظرا لعدم وجود معاهد عليا كالأزهر بمصر و القرويين بفاس والزيتونة بتونس.
7. التركيز على التحصيل الأولي(القراءة و الكتابة)لتلامذة الأرياف، فكثيرا ما يضطر التلاميذ إلى الإنقطاع عن التعليم إذا حفظ القرن و أتقن الخط.

8. صعوبة التحصيل العلمي الثانوي بالأرياف و العالي بالمدن إذا ما ربطنا الأمر بالظروف السياسية الداخلية و الخارجية للأيالة (الحروب- الإضطرابات و الفتن الداخلية: ثورة إبن الصخري–ثورة قبائل فليسة–أولاد نايل...–ابن الأحرش – الإعتداءات الأوروبية على السواحل الجزائرية–الحروب التونسية والمغربيةمع الأيالة).

على الرغم من إهمال السلطة العثمانية بالجزائر للتعليم و عدم الإهتمام بتسييره أو تطويره إلا أن كفاءة العلماء ، وخبرةالمعلم أنتجت منظومة تعليمية ذات مستوى لقنت مختلف ضروب العلم و المعارف و خرجت فطاحلة في علوم المنقول و المعقول وكثرة التأليف و الشروح و الحواشي توضح ذلك إذ إعترف بغزارة علمهم و نزاهة أعمالهم علماء المغرب الأقصى كالعياشي وابن زاكور و المشارقة منهم عمارة العلاف.

المصادر و المراجع العربية:

1. المصادر:

1.1 المصادر المخطوطة:

1. أبو راس الناصري، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامة ،رقم 1233.

2.1 المصادر المحققة:

1. ابن مريم التلمساني(2017)، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق وتقديم مُحَمَّد بن ابي شنب، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
2. ابو القاسم الزياني،(1991) **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا** ،تحقيق وتعليق عبد الكريم الفيلالي، المغرب الاقصى: دار نشر المعرفة.
3. أبو راس الناصري(1990)، **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، تحقيق وتعليق مُحَمَّد بن عبد الكريم الجزائري، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
4. احمد ابن سحنون الراشدي(1975)، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**،تقديم وتحقيق المهدي البو عبدلي، قسنطينة، الجزائر، منشورات وزارة التعليم الأصلي.
5. احمد بن يحي الونشريسي(1981) ،**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، تحقيق مُحَمَّد حجي، الجزء 08، بيروت :دار الغرب الإسلامي.
6. جيمس ليندر كاثكارت(1982)، **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، ترجمة وتعليق: اسماعيل العربي ، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
7. عبد الرحمن ابن خلدون(1981)، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، المجلد 7 تحقيق عبد السلام شدادي، بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني.
8. عبد الرزاق ابن حمادوش(1983) ، **لسان المقال في النبأ عن الحسب والنسب والحال**، تحقيق وتقديم، أبو القاسم سعد الله ،الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
9. مُحَمَّد بن يوسف الزياني(1978) ، **دليل الحيران وانيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تقديم وتعليق المهدي البو عبدلي،الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

10. وليام شالير(1982)، **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816–1824 م** ، تعريب وتقديم وتعليق اسماعيل العربي، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

11. وليام شالر (1982)، **مذكرات وليام شالير قنصل أمريكا في الجزائر (1516–1824)** ،تقديم وتعليق إسماعيل العربي،الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

2. المراجع:

2.1 الكتب:

1. ابو القاسم سعد الله (1985)، **تاريخ الجزائر الثقافي في القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16–20م)** ،الجزء1، الجزائر:ش و ن ت.
2. أبو القاسم سعد الله(1986)، **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية**، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
3. أبو القاسم سعد الله(1990)، **رائد التجديد الإسلامي مُحَمَّد بن العنابي**، الطبعة 02، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
4. ابو يعلى الزواوي(2005) ، **تاريخ زواوة**، مراجعة وتعليق سهيل الخالدي، الجزائر: منشورات وزارة الثقافة.
5. أحمد توفيق المدني(1984) ، **كتاب الجزائر تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا جغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها ومدنها ونظامها ومجالسها وحالتها الاقتصادية و العسكرية والاجتماعية**،الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
6. الصديق حاج أحمد(2003)، **التاريخ الثقافي لاقليم توات من القرن (11–14 ه)17 م – 20 م** ،الجزائر: طبعة خاصة، وزارة الثقافة.
7. عبد القادر حلوش(1999) ، **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**،الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع .
8. عبد القادر حليمي(1972)، **مدينة الجزائر نشأها وتطورها قبل 1830**، المطبعة العربية، الجزائر: دار الفكر الإسلامي.
9. عبدالقادر نورالدين،(1965) **صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي**،الجزائر: نشر كلية الآداب.

10. فرج محمود فرج(1984) ، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، دراسة لأوضاع الإقليم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، مع تحقيق مخطوط القول البسيط في أخبار تمنطيط لأحمد بابا حيدة** ، الجزائر :د م ج .

11. ناصر الدين سعيدوني ، المهدي البوعبدلي(1984)، **الجزائر في التاريخ العهد العثماني**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزء 4.

2.2 المقالات:

1. بن عتو بلبراوات(2005 العدد3-4) ، الإصلاح الثقافي للباي مُحَّد الكبير بمدينة معسكر، **مجلة حولية المؤرخ** ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر، الجزائر.
2. مُحَّد لفريح(2021 العدد1)، الشيخ المصلح مُحَّد بن محمود العنابي الجزائري، **مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية**، قسنطينة، الجزائر.
3. 03-مُحَّد سي يوسف(1986 العدد 2)، دراسة مخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لأبي راس الناصري، **مجلة الدراسات التاريخية**، معهد التاريخ جامعة الجزائر، بوزريعة.

المصادر و المراجع بالفرنسية:

1. **المصادر:**

01- (E) Vayssettes(2002) , **histoire de Constantine sous la domination turque 1517-1837** ,présentation de ouarda siari tengour,pari : edition boudene.

02- (M)rozet(1833),**Voyage dans la régence d'Alger ou description du pays occupe par l'arméeFR ançaise, l'Afrique du nord**, Arthis Bertrand librairie ,3éme édition, , paris, france.

03- Dan (Père)(1637), **histoire de Barbarie et de ses corsaires des poyaumes des villes d'Alger**, de Tunis, de Sali et Tripoli, 2ème édition, Paris, P.Rocdet.

04- Laugier de Tassy(1725)**, histoire du royaume d'Alger avec l'état présent des ses gouvernement**, amesterdam ,T1.

05- *Tomas Show* ***(1830),*** **Voyage dans la régence d'Alger**, traduit de l'anglais par G. Bouslama, 2éme édition, maccartthy, édition, Tunis

2. **المراجع:**

01- (C) Bontems(1976) , manuel des institution algérienne de la domination turque à l'indépendance, Paris : édition cujas , tome 1.

02- André Noushi(1955), **Constantine à la veille de la conquête**, cahiers de Tunisie, n°11, 3TR.
03- Aranburu(1978),**oran et l'ouest algerien au 18 siécle**, présentation et traduction par mel korso et m epalza,publication de la bibliothèque nationale, Alger, algerie.
04- Chems Eddine Chitour(2001), **Histoire religieuse de l'Algérie, l'identité et la religion face de la modernité**, enag éditions distribution, Alger ,algerie.
05- Emerit Marcel(1954)**, l'état intellectuel et moral de l'Algérie en 1830**, in RT. AS UP ,2°semestre, Paris.
06- Max Marchand(1950), **histoire abrégée De l'Algérie** ,Oran ;édition fouque
07- Tayeb Chentouf(2004), **études d'histoire de l'Algérie (18 et19 siècle)**,Alger : OPU.

3. **المقالات:**

01- Devoulx Albert(1868) : **les éddifices religieuses de lancien Alger** ;R.A N° 12 ،ALGER societe algienne.